

الملحمة النونية لشيخنا الجليل الدكتور يوسف القرضاوي

لا أحد ممن عرفت من المثقفين المسلمين لم يسمع بالقصيدة النونية ؛ أشهر قصائد الدكتور يوسف القرضاوي ؛ قصيدة رائعة تزيد عن ثلاثمائة بيت من الشعر فاضت بها قريحته وهو في ريعان شبابه في خمسينات القرن الماضي ، معتقلاً في السجن الحربي .. عبر فيها عن مشاعره بزفرات صدرٍ محموم ونبضات قلبٍ مكلوم.. لا يصورُ بها حاله فقط ولكن حال الآف من إخوانه الأبرياء الذين غيَّبهم الطاغية خلف جدران السجون.. لا لذنوب اقترفوه ولكن فقط لأنهم قالوا "ربنا الله.. ولا نعبد رباً سواه"!!..إنها قصيدة طويلة فاقراً منها ما استطعت واحتفظت بها للتاريخ وللأجيال القادمة .. أود أن أنبه إلى كلمة "العروسة" التي وردت في القصيدة .. فقد كان مصطلحاً يطلقه زبانية التعذيب على هيكل خشبي يُقيدُ فيه المعتقل ليضرب بالسياط على صدره العاري وظهره حتى ينزف دماً ويسقط مغشياً عليه.. يصفها الشاعر العملاق -ضمن وسائل التعذيب الأخرى- في هذه الأبيات:

واسأل ثرى الحربيّ أو جدرانهُ ** كم من كسيرٍ فيه أو مطعون
وسلّ السياط السودَ كم شربتُ دماً ** حتى غدتُ حُمراً بلا تلوين
وسلّ العروسة فُبَحَّتْ من عاهِرٍ ** كم من جريح عندها وطعين
كم فتية زُفوا إليها عُـنـوـةً ** سقطوا من التعذيب والتوهين
واسأل زنازين الجليدِ تُجَبِّكُ عن ** فنَّ العذابِ وصنعةِ التلقين

قصيدة رائعة تفجر الجراح في القلب .. نعم.. ولكن بها الشفاء لما تختزنه الصدور من أناةٍ وأوجاع دفيئة.. تتدفق في تيار جارف من الكلمات المتسامية والنعغات المتصاعدة مع زفرات القلوب .. يختمها بدعاء من القلب المجروح ، يجار إلى ربه أن ينتصر له وإخوانه ويرفع عنهم ظلم الظالمين وجور الجانرين .. يقول:

رَبِّـسَـاهِ رُدَّ عَلَيَّ مَوْئِسَ وَحَشْتِي ** وَأَغِثْ بَعُودَتِهِ جِـيـاعَ بَنِيـي
يَأْمَنُ أَجَبْتُ دَعَاءَ نُوْحٍ فَانْتَصِرْ ** وَحَمَلْتُهُ فِي فُلِكَ الْمَشْحُونِ
يَا مَنْ أَحَالَ النَّكَارَ حَوْلَ خَلِيلِهِ ** رَوْحًا وَرِيحَانًا بِقَوْلِكَ: كُونِي
يَا مَنْ أَمَرَتِ الْحَوْتَ يَلْفِظُ يُونُسًا ** وَسَتَرْتَهُ بِشُجَيْرَةِ الْيَقُطِينِ
يَا رَبِّ إِنَّا مِثْلُهُ فِي كُرْبِـبَةِ ** فَارْحَمْ عِبَادًا كُلَّهُمْ ذُو النَّوْنِ

الملحمة النونية للقرضاوي:

ثارَ القريضُ بخاطري فدَعُونِي * * أَفْضِي لَكُمْ بِفَجَائِعِي وَشَجُونِي
فالشعرُ دمعِي حِينَ يَعْصِرُنِي الأَسَى * * والشعرُ عُوْدِي يَوْمَ عَزَفِ لِحُونِي
كَمْ قَالِ صَحْبِي: أَيْنَ عَرُّ قِصَائِدِ * * تُشْجِي القلوبَ بلحنِهَا المَحْزُونِ؟
وتَخَلَّدَ الذَكَرَى الأَلِيْمَةَ لِلوَرَى * * تُتَلَّى عَلَى الأَجِيَالِ بَعْدَ قُرُونِ

=====

ما حيلتِي والشعرُ فيضُ خَواطِرِي * * ما دمتُ أبعِغِهِ ولا يبعِغِينِي
واليسومَ عاوِدَتِي المَلَأْتُ فَهَزَنِي * * طَرِبًا إِلَى الإنْشَادِ والتلْحِينِ
أَلْهَمْتُهَا عَصْمَاءَ تَنْبُعَ مِنْ دَمِي * * وَيَمِدُّهَا قَلْبِي وَمَاءَ عُيُونِي
نُونِيَّ والنونُ تَلْوَ فِي فَمِي * * أَبَدًا فَكَدْتُ يُقَالُ لِي ذُو النونِ
صَوَّرْتُ فِيهَا مَا اسْتَطَعْتُ بِرِيشَتِي * * وَتَرَكْتُ لِأَيَّامٍ مَا يُعِينِي

ما همتُ فيها بالخيالِ فإنَّ لي * * * بغرائبِ الأحداثِ ما يُغنيني
أحداثَ عهدِ عصابةِ حكموا بني * * * مصرِ بلا خُلُقٍ ولا قانونِ
أنسَتْ مظالمَهُمَ مظالمَ منْ خلُوا * * * حتَّى ترحمنا علي "نيرون"
حسبوا الزمانَ أصمَّ أعمى عنهم * * * قد نَوْموه بخُطبةِ وطنينِ
ويراعه التاريخُ تسخرُ منهمو * * * وتقوُم بالتسجيلِ والتدوينِ
وكفى برَبِّكَ للخليفةِ مُخْصِيًا * * * في لوحِه وكتابه المكنونِ

=====

يا سائلِي عن قصتي اسمعُ فها * * * قصصٌ من الأهلِ ذاتُ شجونِ
أمسِكْ بِقَلْبِكَ أَنْ يَطِيرَ مُفْرَعًا * * * وتَوَلَّ عن دُنْيَاكَ حتَّى حينِ
فالهولُ عاتٍ والحقائقُ مُتَّةٌ * * * تسمو على التصويرِ والتبيينِ
والخطبُ ليسَ بخطبِ مصرٍ وحدها * * * بلْ خُطبُ هذا المشرقِ المسكينِ

=====

في ليلِة ليلاءٍ من نوفمبرٍ * * * فزَعَتْ من نومي لصوتِ رنينِ
فإذا كلابُ الصَّيدِ تهجُّمُ بَعْتَهُ * * * وتحوطني عن يسرةِ ويمينِ
فَتَحَطَّفُونِي عن دُويٍّ وأقبلوا * * * فرحاً بصيدٍ للطغفائةِ سَمِينِ
وعزَلتُ عن بصرِ الحياةِ وسمِعها * * * وقذفتُ في قفصِ العذابِ الهونِ
في ساحةِ "الحربيِّ" حسْبِكَ باسمِه * * * من باعثٍ للرعبِ قد طرْحوني
ما كدتُ أدخُلُ بابَهُ حتَّى رأتهُ * * * عينيَّاي ما لم تحتسبه ظنوني
في كلِّ شبرٍ للعذابِ مناظرٌ * * * يتهدى لها -والله- كلُّ جبينِ
فترى العساكرَ والكلابَ مُعدَّةً * * * للنهشِ طوعَ القائدِ المفتونِ
هذي تَعْضُ بنابِها وزميليها * * * يعضو عليك بسوطه المسنونِ
ومضتُ عليّ دقائِقُ وكأَنَّها * * * مما لقيتُ بهنَّ بضغِ سنينِ
يا ليت شعري ما دهان؟! وما جرى؟ * * * لا زلتُ حيًّا أم لقيتُ منوني؟
عجبًا! أسجِنُ ذاكُ أم هو غابَةٌ * * * برزتُ كواسرَها جباغِ بطون؟
أرى بنياً أم أرى شِقِّي رَحِي * * * جبارةً للمؤمنينِ طُحُون؟
واها! أف حُلُمُ أنا أم يقظة * * * أم تلكِ دارُ خيالِةِ وفُتون؟!
لا.. لا أشكُ.. هي الحقيقَةُ حَيَّةٌ * * * أشكُ في ذاتي وعينِ يقيني؟!
هذي مقدمةُ الكتابِ فكيفَ ما * * * تحوي الفصولِ السودِ من مضمون؟!

=====

هذا هو الحربيُّ معقلُ ثورة * * * تدعو إلى التحريـرِ والتكوينِ
فيه زبانيةُ أَعْدُوا للآدي * * * وتخصصوا في فَنِّهِ الملعونِ
متباعدون .. عقولُهُمُ بأكفُهُم * * * وأكفُهُمُ للشَّرِّ ذاتُ حنيـنِ
لا فـرقَ بينهمو وبينِ سِياطِهِم * * * كلُّ أداةٍ في يدي مافونِ
يتلقفونَ القادميـنَ كأنهم * * * عثروا على كَنزٍ لديكِ ثمينِ
بالرجلِ .. بالكرباجِ .. باليدِ .. بالعصا * * * وبكلِّ أسلوبِ خسيسِ دُونِ
لا يقدرونَ مفكـرًا ولو إنَّه * * * في عقلِ سقراطٍ وأفلاطونِ
لا يعباونَ بصالحِ ولو إنَّه * * * في زهدِ عيسى أو ثقي هارونِ
لا يرحمونَ الشيخَ وهو محطَّم * * * والظهورُ منه تراه كالعرجونِ
لا يشفقونَ على المريضِ وطالما * * * زادوا أذاهُ بقساةِ وجنـونِ
كم عالِمٍ ذي هيبَةٍ وعِمامةٍ * * * وطنوا عِمامتَهُ بكلِّ مُجونِ
لو لم تكنَ بيضاءَ ما عبثوا بها * * * لكنها هاتِ هوانَ الدينِ
وكبيرُ قومِ زينتهُ لحييـةً * * * أغرتهمو بالسَّبِّ والتلعينِ
قالوا له انتفها بكلِّ وقاحـةٍ * * * لم يعباوا بسنينه السنينِ

فإذا تقاعسَ أو أبى يا ويلَهُ * * * مما يلاقي من أدى وفتون

=====

أثرى أولئك ينتمون لآدم * * * أم هم ملاعيون بنو ملعون؟
تالله أين الأدمية منهمو * * * من مثل محمود ومن ياسين
من جودة أو من دياب ومصطفى * * * وحمادة وعطية وأمين
لا تحسبوهم مسلمين من اسمهم * * * لا دين فيهم غير سب الدين
لا دين يردع لا ضمير محاسب * * * لا خوف شعب لا حمى قانون
من ظن قانوننا هناك فإنا * * * قانوننا هو نزة البسيوني
جلاد ثورتهم وسوط عذابهم * * * سموه زورا قائدا لسجون
وجه عبوس قمطير حاقدا * * * مستكبر القسمات والعزنيين
في خذه شحج ترى من خلفه * * * نفسا معقدة وقلب لعين
متعطف للسوء، في الدم والغب * * * في الشر منقوع به معجون
هذا هو الحربى معقل ثورة * * * تدعو إلى التطوير والتحسين!
هو صورة صغرى استعيرت من لظى * * * فى ضيقها وعذابها الملعون
هو مصنع للهول كم أهدى لنا * * * صوراً تذكرنا بيوم الدين!
هو فتنة في الدين لولا نعمة * * * من فيض إيمان وبرد يقين

=====

قل للعواذل: إن رميتم مصرنا * * * بتخلف التصنيع والتعدين
مصر الحديثة قد علت وتقدمت * * * في صنعة التعذيب والتقرين!
وتفنتت كي لا يملل معذب * * * في العرض والإخراج والتلوين!
أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه * * * حتى يرى في هيئة البالون؟!
أسمعت بالإنسان يضغط رأسه * * * بالطوق حتى ينتهي لجنون؟!
أسمعت بالإنسان يشعل جسمه * * * ناراً وقد صبغوه بالفزلين؟!
أسمعت ما يلقي البريء ويصطلي * * * حتى يقول أنا المسيء خذوني؟!
أسمعت بالأهات تخرق الدجى * * * رباه عدلك إنهم قتلوني؟!
إن كنت لم تسمع فسأل عما جرى * * * مثلي ولا ينيبك مثل سجين
واسأل ترى الحربى أو جدرانها * * * كم من كسير فيه أو مطعون
وسل السياط السود كم شربت دماً * * * حتى غدث حمراً بلا تلوين
وسل العروسة فبحت من عاهر * * * كم من جريح عندها وطعين
كم فتية زفوا إليها عنوة * * * سقطوا من التعذيب والتوهين
واسأل زنازين الجليد تجبك عن * * * فن العذاب وصنعة التلقين
بالنار أو بالزمهير .. فتلك في * * * حين ، وهذا الزمهير بحين
يلقى الفتى فيه ليالي عارياً * * * أو شبه عار في شتا كانون
وهناك يملى الاعتراف كما استهوا * * * أو لا فويل مخالف وحزون
وسل المقطم وهو أعدل شاهد * * * كم من شهيد في التلال دفين
قتلته طعنة مصر أشع قتلة * * * لا بالرصاص ولا القنا المسنون
بل علقوه كالدبيحة هينت * * * للقطع والتمزيق بالسكين
وتهجدوا فيه ليالئ كلها * * * جلد، وهم في الجلد أهل فنون!
فإذا السياط عجزن عن إنطافه * * * فالكي بالنيران خير ضمين!

=====

ومضت ليالٍ والعذاب مسجّر * * * لفتى بأيدي المجرمين رهين
لم يعبأوا بجراحه وصددها * * * لم يسموا لأوه وأنين
قالوا: اعترف أو مت فانت مخير * * * فأبى الفتى إلا اختيار منون

وجرى الدَّمُ الدَّفَاقُ يَسْتَرْطُ فِي الثَّرَى * * يا إِخْوَتِي اسْتَشْهَدْتُ فَاحْتَسِبُونِي
لا تَحْزَنُوا إِنِّي لِرَبِّي ذَاهِبٌ * * * أَحْيَا حَيَاةَ الْحُرِّ لا الْمَسْجُونِ
وَامْضُوا عَلَى دَرَبِ الْهُدَى لا تَيْأَسُوا * * فَايَأْسُ أَصْلُ الضَّعْفِ وَالتَّوْهِينِ
قُولُوا لِأُمِّي: لا تَنْوَجِي وَاصْبِرِي * * * أَنَا عِنْدَ خَالِقِي الَّذِي يَهْدِينِي
أَنَا إِنْ حُرِمْتُ وَدَاعَكُمْ لِحَنَاتِي * * * فَمَلَانِكُ الرَّحْمَنِ لَمْ يَدْعُونِي
إِنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فِي الْأَرْضِ امْرُؤٌ * * * حَسْبِي صَلَاتُهُمْو بِعَلِيِّنِ
أَنَا فِي جِوَارِ الْمُصْطَفَى وَصَحَابِهِ * * * أَحْظَى بِأَجْرٍ لَيْسَ بِالْمَمْنُونِ
أَنَا فِي رَبِّ الْفِرْدَوْسِ أَفْقَرُ شَادِيًا * * * جَذَلَانُ كَالْعَصْفُورِ بَيْنَ عُصُونِ
وَلذَانِهَا فِي خِدْمَتِي، وَثَمَارُهَا * * * فِي قَبْضَتِي، وَنَعِيمُهَا يَدْعُونِي
وَإِذَا حُرِمْتُ الْعُرْسَ فِي الدُّنْيَا فَلِي * * * مَا شَتَّتْ فِيهَا مِنْ حِسَانِ عَيْنِ
أُمَّهَاءُ حَسْبِكَ أَنْ أَمُوتَ مَعْدَبًا * * * فِي اللَّهِ لا فِي شَهْوَةٍ وَمُجُونِ
مَا خُنْتُ دِينِي أَوْ حِمَايَ وَلَمْ أَكُنْ * * * يَوْمًا عَلَى حُرْمَاتِهِ بَضْنِينَ
فَلْيَسْأَلُوا عَنِّي الْفِتْيَانَةَ وَيَسْأَلُوا * * * عَنِّي الْيَهُودَ .. فَطَالَمَا خَبَرُونِي

=====

سَحَقًا لِجَزَارِينَ كَمْ ذَبَحُوا فَتَى * * * مَسْتَهْتَرِينَ كَأَنَّهُ ابْنُ لُبُّونِ!
فَإِذَا قَضَى ذَهَبُوا بِجَنَّتِهِ إِلَى * * * تَلِّ الْمَقْطَمِ وَهُوَ غَيْرُ بَطِينِ
لِقُوَّةِ فِي ثُوبِ الدُّجَى وَتَسَلَّلُوا * * * سَارِينَ بَيْنَ مَغَاوِرِ وَحُزُونِ
وَارَوْهُ ثُمَّ مَحَا مَعَالِمَ رَمْسِيهِ * * * فَغَدَا كَسِرًا فِي الثَّرَى مَكْنُونِ
أَخْفَوهُ عَنِ عَيْنِ الْأَنَامِ وَمَا دَرَوْا * * * أَنَّ الْإِلَهَ يَحُوطُهُمْ بَعِيونِ
وَاللَّيْلُ يَشْهَدُ وَالْكَوَاكِبُ وَالثَّرَى * * * وَكَفَى بِهِمْ شُهَدَاءَ يَوْمِ الدِّينِ

=====

قالوا: محاكمة، فقلت: رواية * * * أعطوا لمخرجها وسام فنون!
هي شر مهزلة ومأساة معاً * * * قد أضحكنتي مثل ما تُبكيني!
أوعت سجلات القضاء قضية * * * كقضية الإخوان؟ أين؟ أروني
الخصم فيها مدع ومحقق * * * وهو الذي يقضي بلا قاتنون!
إلا هواء وما يبدور برأسه * * * من خلط سكير ورأي أفين
أرأيت محكمة ترأسها امرؤ * * * يدعو من عرفوه بالمجنون؟!
أرأيت أحراراً رموا بهمؤ لدى * * * قاضٍ عديم دينه مابون؟!
أرأيت إنساناً يدان لقوليه * * * الله ربّي، والحنيفة ديني!
أو قال يا قوم ارجعوا لكتابكم * * * طوق النجاة لكم بكل يقين؟!
يا سوء حظ فتى رأوا بسجله * * * شرف الجهاد لعصبة الصهبون!
أو كان يوماً في كتيبة فتيّة * * * شهرت بنادقها على السكسون!
أو كان حافظاً "أل عمران" فقد * * * ظفروا ببرهان عليه ميبين!
هذي الجرائم عند محكمة الردى * * * هي غرة تزهو بأي جبين
والويل لأمرئ استباح لنفسه * * * إظهار تعذيب ودفع ظنون
سيعود للحربي يأخذ حظّه * * * وجزاءه الأوفى من البسيوني

=====

أنا إن نسيته فليست أنسى ليلة * * * في ساحة الحرب ذات شجون
غدنا المساء من المحاكمة التي * * * كانت فصول فكاهة ومجون
ما كاد يعرفونا الكرى حتى دعا * * * داعي الردى وكفك صوت أميين
فتجمع الإخوان ممن جؤموا * * * ذا اليوم من طنطا إلى بسيون
أمّا الألى سيحاكمون فأحضروا * * * ليروا يقييننا ليس بالمظنون
وإذا بقائدنا المظفر حمزة * * * في عسكر شاكي السلاح حصين

حشد الجنود وصفها بمهارة * * * وكأنه عمرو بأجنادين!
وأحاطنا ببنادق ومدافع * * * فغرت لنا فاهًا كفي التنيين!
طابور "تكدير" ثقيل مرهق * * * في وقت أحلام وأن سكون
نعدو كما تعدو الطباء يسوقنا * * * لهب السياط شكّت من التسخين
ومضت علينا ساعتان وكلنا * * * عرق تصبب مثل فيض عيون
من خر إغماءً يفسق عجلًا على * * * ضربات سوط للعذاب مهين
ومن ارتمى في الأرض من شيخوخة * * * أو علة داسوه دوس الطين
لم يكف حمزة كل ما نؤنا به * * * من فرط إعياء ومن توهين
فاتى يوزع بالمفروق دفعة * * * بالسوط من عشرين للخمسين
كل ينال نصيبه بنزاهة * * * في العمد والإتقان والتحصين!

=====

وإذا نسيته فلست أنسى خطبة * * * ما زال صوت خطيبها يشجيني
إذ قال حمزة - وهو منتفخ - فلم * * * يترك لفرعون ولا قارون:
أين الألى اصطنعوا البطولة وادعوا * * * أني أعبدهم هنا بسجوني؟!
أظننتمو هذا يخفف عنكم * * * كلا، فأمركم انتهى، وسلوني
أم تحسبون كلام ألف منكم * * * عنكم وعن تعذيبكم يثيني؟!
إني هنا القانون، أعلى سلطة * * * من ذا يحاسب سلطة القانون؟!
متفرد في الحكم دون معقب * * * من ذا يخالفني ومن يعصيني؟!
فإذا أردت وهبكم حريّة * * * أو شئت ذقتم من عذاب الهون
من منكمو سامحتمه فبرحمتي * * * وإذا أبيت فذاك طوع يميني
ومن ابتغى موتًا فها عندي له * * * موت بلا غسل ولا تكفين!
يا فارس الوادي وقائد سجنه * * * أبنو الكنانة أم بنو صهيون؟!
هلا ذهبت إلى الحدود حميتها * * * وأريتنا أفكار نابليون؟!
أذهب لغزة يا همام وأنسا * * * بجهدك الدامي صلاح الدين!
أفعدنا كبش النطاح .. ونعجة * * * في الحرب جماء بغير فرون!?

=====

أعرفت ما قاسيت في ززانة * * * كانت هي القبر الذي يؤويني؟!
لا بل ظلمت القبر، فهو لذي التقى * * * روض، وتلك جحيم أهل الدين!
هي في الشتاء وبرده ثلجة * * * هي في هجير الصيف مثل أتون
نقى ثمانية بها أو سبعة * * * متداخلين كغلبة السردين
هي منذانا وهي عرقه نومنا * * * وهي البوفية وحجرة الصالون
هي مسجد لصلاتنا ودعائنا * * * هي ساحة للعب والتمرين
وهي الكنيف وللضرورة حكمها * * * ما الذنب إلا ذنب من سجنوني
هي كل ما لي في الحياة فلم يعد * * * في الكون ما أرجوه أو يرجوني
الأرض كل الأرض عندي أرضها * * * أما السماء فسقفها يعلوني
فيها انقطعت عن الوجود فلم أجد * * * أعنيه في شيء ولا يعنيني
لا أعرف الأنبياء عن دنيا الوري * * * إلا من الأحلام لو تأتيني!

=====

يبكي الأقارب غيبة حسبوا لها * * * شهرين فامتدت إلى عشرين
ولكم وقي زار أهلي سائلًا * * * عني برفق عليهم عرفوني!
والأهل لا يدرون هل أنا ميت * * * فقدوه أم حي فيرتقبوني!
كم شاعر فقد الرجاء بعودتي * * * فأعد في قصيدة التأيين
هذا نصيبي يا أخي من ثورة * * * قد كنت أحسبها أتت تحميني

حَظِي بِهَا زِنَانِـةٌ صَخْرِيـةٌ * * * سوداءٌ مثلُ قلوبٍ من أسروني
كَمْ من لَيَالٍ بَنَّتْهَا أَشْكَو الطَّوَى * * * والبرد، لكن أين من يُشْكِينِي؟
هَمْ كَدَّرُونِي لَا طَعَامَ أذوقُهُ * * * لا شيءٍ من بردِ الشتاءِ يقيني
فإِذَا انْقَضَى التَّكْدِيرُ جَاءَ طَعَامُهُمْ * * * دَكْنَا كَأفْكَارِ الأَلَى اعْتَقَلُونِي
ضَرْبٌ من التَّعْذِيبِ إِلا أَنَّهُ * * * لا يَدُّ مِنْهُ لَسَدٌ جُـوعٌ بَطُونِ
فَقَطَّوْنَا عَدَسٌ تَزَيَّنَ بِالْحَصَى * * * إِنْ الحَصَى فَرَضَ عَلَى التَّعْيِينِ
قَدْ عَفَّتْهُ حَتَّى اسْمُهُ وَحُرُوفُهُ * * * مِنْ عَيْنِهِ أَوْ دَالِهِ وَالسَّيْنِ!
وَعْدَاؤُنَا فَاصُولِيـةٌ ضَاقَتْ بِهَا * * * نَفْسِي فَرُويَةً صَخْنَهَا تُوذِينِي
وَعِشَاؤُنَا شَيْءٌ يَحِيرُكَ اسْمُهُ * * * فَكأنَّمَا صَنَعُوهُ مِنْ غَسَلِيـنِ
لَا طَعْمَ فِيهِ وَلَا غَذَاءَ وَإِنَّمَا * * * يَحَلُّوْنَا مِنْ قَلْبَةِ التَّمْوِينِ
طَبَقٌ يَكَالُ لِسَبْعَةٍ أَوْ نِصْفُهُ * * * وَعَلَيَّ أَنْ أَرْضَى وَقَدْ ظَلَمُونِي
لَوْ أَنَّ لِي فِي جَوْفِهَا حَرِيـةٌ * * * لَرْضَيْتُ لَكِنْ أَيْنَ مَا يُرْضِينِي؟
مِنْ أَجْلِ صَبْطِ وَرِيْقَةٍ أَوْ إِبْرَةٍ * * * وَلغَيْرِ شَيْءٍ .. طَالَمَا اسْتَأْقُونِي
وَتَجَمَّعُوا حَوْلِي ضَوَارِيَّ هَمُّهَا * * * نَهْشِي .. وَمَا لِي حِيلَةٌ تُنْجِينِي
إِنْ نَمْتُ تَوْقَظُنِي السَّيَاطِ سَرِيْعَةً * * * فَالْتَّوْمُ لَيْسَ بِيَاخَ لِلْمَسْجُونِ
وَإِذَا تَحَدَّثْنَا لِنُذَهَبَ بِالْكَـرَى * * * حَظَرُوا الحَدِيثَ عَلَيَّ كالأَفِيـونِ!
وَإِذَا شَغَلْنَا بِالْقِرَاعَةِ وَقَتْنَا * * * أَخَذُوا جَمِيعَ الكُتُبِ لِلتَّخْرِيزِ!
وَإِذَا تَلَّوْنَا فِي المِصَاحِفِ حَرَمُوا * * * حَمَلَ المِصَاحِفِ وَهِيَ خَيْرُ قَرِينِ
وَإِذَا تَسَلَّيْنَا بِصَنْعِ مَسَابِحٍ * * * جَمَعُوا المَسَابِحَ مِنْ نَوَى الزَّيْتُونِ
هَذِي سِيَّاسَتُهُمْ وَتِلْكَ عَقُولُهُمْ * * * :عِيشُوا بِغَيْرِ تَحَرُّكِ وَسُكُونِ!
إِبَاكُمُ أَنْ تَشْتَكُوا أَوْ تَأَلَّمُوا * * * مُوتُوا بِغَيْرِ تَوَجُّعٍ وَأَنِينِ!
يَا وَيْلَ مِنْ قَدْ مَسَّهُ لَهَبُ الظَّمَا * * * فَدَعَا بِأَطْفِ لِلْجَنُودِ: اسْقُونِي
فَهَنَّاكَ يُسْقَى المُرَّ مِنْ أَيْدِيهِمْ * * * مِنْ كُلِّ مَسْعُورٍ عَلَيْكَ حَرُونِ
فَالسُّوْطُ حَلَالٌ المِشَاكِلَ، لَمْ يَضُقْ * * * يَوْمًا بِطُولِ مَارِبٍ وَشُؤُونِ
مِنْ رَاحٍ يَشْكُو الجُوعَ فَهُوَ غِذَاؤُهُ * * * وَمَنْ ابْتَغَى رِيًّا فَأَيُّ مَعِينِ!
وَمَنْ اشْتَكَى الإِسْهَالَ يُجَلِّدُ عَشْرَةَ * * * هِيَ وَصَفَةُ الثَّوَارِ لِلْمِبطُونِ
وَمَنْ اشْتَكَى وَجَعَ الصَّدَاعِ فَمَثَلُهَا * * * أَوْ ضَعْفُهَا بِمَكَانِ الإِسْبِيرِينِ
وَمَنْ اشْتَكَى مِنْ سُكَّرٍ فَبِنْحُوهَا * * * يَجِيـدُ العَلِيلُ أَعْرَ إِنْسُولِينِ
هَذَا اكْتِشَافُ النُّورَةِ الفِئْدِ الَّذِي * * * فَخَرْتُ بِهِ مِصرَ عَلَى بَرْلِينِ!

=====

يَا عُصْبَةَ البَاسِطِيْلِ دُونَكُمُ، فَلْنِ * * * أَسَى عَلَى الإِغْلَاقِ وَالتَّامِيـنِ
سُدُّوا عَلَيَّ البَابَ كَيْ أُخَلُّ إِلَى * * * كُتْبِي فَلِي فِي الكُتُبِ خَيْرُ خَدِينِ
وَخَذُوا الكِتَابَ، فَإِنَّ أَنَسِي مُصْحَفٌ * * * أَتَلَّوهُ بِالتَّرْتِيْلِ وَالتَّلْحِينِ
وَخَذُوا المِصَاحِفَ، إِنَّ بَيْنَ جَوَانِحِي * * * قَلْبًا بَنورٍ يَقِينِهِ يَهْدِينِي
اللَّهُ أَسْعَدَنِي بِظُلِّ عَقِيـدَتِي * * * أَفِيستطيعُ الخَلْقُ أَنْ يُشَقُّونِي!؟

=====

لِحِسابِ مَنْ هَذَا الأَتُونُ مُسَجَّرٌ * * * يَلْقَى لَهَ بِالفَحْمِ وَالبَنْزِينِ؟
لِحِسابِ مَنْ بَطَشُوا بِأَطْهَرِ ثَلَاثَةٍ * * * رَوَّتْ دِمَاها أَرْضَ فِلسِطِينِ؟
لِحِسابِ مَنْ ضَرَبُوا بِطُولَةِ فِتْيَةٍ * * * بَعَثُوا صَلاحَ الدِّينِ فِي حَظِينِ؟
لِحِسابِ مَنْ مَكَّرُوا بِأَخْوَةِ غَانِمٍ * * * وَابنِ المُنْيسِي وَالفَتَى شَاهِينِ؟
لِحِسابِ مَنْ شَنَقُوا المِجَاهِدَ يوسُفًا * * * وَالفِرْغَلِيَّ مُحَارِبَ السَّكْسُونِ؟
لِحِسابِ مَنْ غَدَرُوا بِعُودَةِ جَهْرَةٍ * * * مِنْ غَيْرِ سُلْطَانِ عَلَيْهِ مَبِينِ؟
لِحِسابِ مَنْ قَتَلُوا وَمَا قَدْ شَوَّهُوا * * * مِنْ أَوْجِهِ أَوْ أَظْهَرِ وَبَطُونِ

مَنْ عَذَّبُوا، مِنْ شَرِّدُوا، مِنْ جَوَّعُوا * * * وَمَنْ اسْتَدْلُوا مِنْ لُيُوثِ عَرِينِ؟
 أَلْمَصْرَ؟ كَيْفَ وَنَحْنُ صَفْوَةٌ جُنْدُهَا * * * فِي يَوْمِ حَرْبٍ لِلْعَدُوِّ زَيْونِ
 أَمْ لِلْعُرُوبِ بَلَّةٍ فِي قَضِيَّتِهَا الَّتِي * * * أَعْنَى بِهَا الشُّهَدَاءُ عَنْ تَبْيِينِي
 أَمْ يَا تُرَيُّ لِقَضِيَّةِ الْإِسْلَامِ فِي * * * أَوْطَانِهِ مِنْ طَنْجَةٍ لِبَكِيْنِ؟
 الْمُسْلِمِي الْأَحْبَاشِ أَمْ لِإِرْتَرِيَا * * * مِنْ كُلِّ مَرْتَقِبٍ لِعَوْنٍ مُعِينِ
 أَمْ لِلأَلَى يُفْنُونَ فِي الْقَوْقَازِ أَوْ * * * مِنْ دُبْحُوا فِي الْهِنْدِ أَوْ فِي الصَّيْنِ؟
 لا .. لا وَرَبِّي، إِنِّي لِأَقُولُهَا * * * بِالْجَزْمِ لَا بِالْخَرْصِ وَالتَّخْمِينِ:
 لِحَسَابِ مَنْ هَذَا أَتَدْرِي يَا أُخِي؟ * * * لِحَسَابِ الْإِسْتِعْمَارِ وَالصَّهْيُونِ
 أَرْضِي بِنَا الطَّاعُوتِ سَادَتَهُ لَكِي * * * يَعِدُوهُ بِالتَّثْبِيْتِ وَالتَّأْمِينِ
 فَالْقَوْمُ يَخْشَوْنَ انْتِفَاضَةَ دِينِنَا * * * بَعْدَ الْجُمُودِ وَبَعْدَ نَوْمِ قُرُونِ
 يَخْشَوْنَ يَعْزُبُ أَنْ تَجُودَ بِخَالِدِ * * * وَيَكَلِّ سَعْدَ فَاتِحِ مِيمُونِ
 يَخْشَوْنَ أَفْرِيْقِيَا تَجُودُ بِطَّارِقِ * * * يَخْشَوْنَ تُرْكِيَا كَنُورِ الدِّينِ
 يَخْشَوْنَ دِينِ اللَّهِ يَرْجِعُ مَصْدَرًا * * * لِلْفِكْرِ وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّقْنِينِ
 وَيَرَوْنَ كُلَّ تَكْتُلٍ يَدْعُو لَهُ * * * خَطَطَرًا وَخَصْمًا لَيْسَ بِالمَأْمُونِ
 وَهُنَا بَدَأَ البَطْلُ الْهَمَامَ مَنْقَدًا * * * لِمُخَطَّطِ التَّبَشِيرِ وَالمَاسُونِ
 لَيْسَدَدَ الضَّرَبَاتِ فِي عُنْفٍ إِلَى * * * أَقْوَى بِنَاءٍ لِلدَّعَاةِ مَتِينِ
 لِيَقُولَ لِلرُّقِيَاءِ: قَسِّرُوا أَعْيُنَنَا * * * أَنَا بِاقتِلَاعِ الأُسِّ جَدُّ قَمِينِ
 وَكَذَلِكَ قَامَ كَمَا أَلْهَمُ فِي تُرْكِيَا * * * لِيَطَارِدَ الْإِسْلَامَ كَالْمَجْنُونِ
 وَاليَوْمَ سَارَ جَمَا أَلْهَمُ فِي خَطِّهِ * * * بِتَدْرُجٍ وَتَخَابُثٍ مَلْعُونِ
 ذَاكَ امْرُؤٌ عَارٍ، وَهَذَا مَآكِرٌ * * * مَتَلُونٌ يَحْكِي أبا قَلْمُـونِ

=====

يَا مِصْرُ حَظُّكَ مِثْلَ حَظِّي عَاثِرٌ * * * كَمْ قَدْ نُكِبْتَ بِغَاشِمٍ وَخَنُونِ
 قَلْنَا انْقَضَى عَهْدُ الظَّلَامِ وَأَقْبَلَتْ * * * مِصْرٌ عَلَى عَهْدٍ أَعْرَ مَكِينِ
 يَمْضِي بِأَمْتِنَا عَلَى سَنَنِ الْهُدَى * * * وَيَرُدُّهَا لِثَرَاثِمِهَا المَيْمُونِ
 وَيَعِيدُ عَهْدَ الرَّاشِدِينَ يُمِيدُهُ * * * عِزُّ الرَّشِيدِ وَنَهْضَةُ المَأْمُونِ
 أَمَلٌ أَضَاءَ -كَلِمَةَ- فِي ثَوْرَةٍ * * * كُنَّا لَهَا فِي الرَّوْعِ خَيْرٌ مُعِينِ
 فَإِذَا الَّذِي تُسْرِنَا عَلَيْهِ تَعِيدُهُ * * * كَالثَّوْرِ حِينَ يَدُورُ فِي الطَّاحُونِ
 ثَرْنَا عَلَى مَلِكِ، فَجَاعُوا عَشْرَةَ * * * كُلِّ يَرِيدِ المَلِكِ غَيْرِ رَزِينِ
 وَإِذَا رَئِيسُهُمْ يَرَى فِي نَفْسِهِ * * * مَلِكَ المُلُوكِ وَوَارِثَ الفِرْعَوْنِ
 فِي نَفْسِهِ وَدِمَانِهِ: أَنَا رَبُّكُمْ * * * لَا تَجْعَلُوا رَبًّا لَكُمْ مِنْ دُونِي
 ثَرْنَا عَلَى الْأَحْزَابِ فِي تَضْلِيلِهَا * * * لِلشَّعْبِ فِي تَوْجِيهِهَا اللَّادِينِي
 مَا بِأَلِهَا رَجَعْتَ لَنَا حَزْبِيَّةً * * * عَمِيَاءَ ذَاتِ دَعَايَةِ وَطَنِينِ؟
 تَدْعُ البِنَاءَ يَكَادُ يَهْوِي رِكْنُهُ * * * وَتَهَيِّمُ بِالتَّزْوِيقِ وَالتَّزْيِينِ!
 صُخْفٌ وَمَذْيَاعٌ وَسَيْلٌ دَعَايَةَ * * * مَتَدَفِّقُ النُّشْرَاتِ جَدُّ هُنُونِ
 خُطْبٌ تَوَزَّعَ لِلْعَرَاةِ لِيَكْتَسُوا * * * وَصَحَافَةٌ تُهْدِي إِلَى المِسْكِينِ
 أَكْدَاسُ أَرْقَامٍ وَلَسْتَ تَرَى لَهَا * * * أَثْرًا سِوَى عُرْيِ وَجُوعِ بَطُونِ
 بَرَقٌ وَلَا مَطَرٌ، وَأَوْرَاقٌ وَلَا * * * ثَمَرٌ، وَجَعَجَعَةٌ بِغَيْرِ طَحِينِ
 ثَوْرِيَّةٌ هَدَامَةٌ شَرِيرَةٌ * * * بِاسْمِ البِنَاءِ تُهْدِي كُلَّ حَصِينِ
 كَانَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي أَوْطَانِهِ * * * شَرًّا مِنَ السَّكْسُونِ وَاللَّاتِينِ
 نَصَبَتْ مِشَانِقَهَا لِقَتْلِ دَعَاتِهِ * * * بِغِيَا، بِلَا شَرْعٍ وَلَا قَانُونِ
 وَمَضَتْ تَصُبُّ عَلَى الأَلُوفِ عَذَابَهَا * * * مِنْ كُلِّ ذِي ثِقَةٍ بِهَذَا الدِّينِ
 سَاعَتْ لَعْمُورِي ثَوْرَةٌ مَشْنُومَةٌ * * * لَمْ نَجِّنْ مِنْهَا غَيْرَ تَلِّ ذِيونِ
 يَجْرِي الخِرَابُ وَرَاءَهَا أَنَّى جَرَتْ * * * وَتَقُولُ بِالتَّطْوِيرِ وَالتَّحْسِينِ!

يا ثورَةَ كَنَّا حَمَـةَ ظُهورِها * * * صِرْنَا وقودَ وطيسِها المَجنون
قالوا: مباركةٌ وما كانتِ سِوى * * * حَمِي على الأحرارِ أو طاعون!
يا هـِرَّةً أَكلتْ بَنِيها عُدَّةً * * * فَبَحَّتْ أَمَّا كُنْتَ غيرَ حنون!
أفهِكذا يُجزي الجميلُ بصدِّه؟ * * * أينَ الوفاءُ وأهلُهُ؟ دُلوني

=====

واهاً لَهُم، كمَ أسرَفوا وتَحَيَّرُوا * * * في وَصَفنا من يُسـرَّةٍ لِيَمينِ
قالوا ويا لُضلالَ ما قالوا فَكَمْ * * * كَالوا لَنَا ثَمَما بِمَحضِ ظُنون!
وعزَّاونَا أنَ النَّبِيَّ قَدِئْـثُهُ * * * بأبي وأمي كمَ رُمي بِطَعون!
من ساجِرٍ حينًا، لباعٍ، مَفترٍ * * * أو كاهنٍ، أو شاعرٍ مَجنون!
قالوا كِذابًا: دَعـوَةٌ رَجِيعَةٌ * * * معزولةٌ عَن قَرْنِها العِشرين!
الناسُ تَنظُرُ لِلأمامِ، فما لَهُم * * * يَدْعوننا لِنَعُودَ قَبْلَ قُرون؟
رَجِيعَةٌ أَنَا نَعـارُ لِدِيننا * * * ونقومُ بالمفروضِ والمسنون؟!
رَجِيعَةٌ أَنَا نَصونُ حريمَنا؟ * * * !بئسَ الحريمُ يَكُونُ غيرَ مَصون
رَجِيعَةٌ أَنَا نذرنا أنفُسَنا * * * لله تَحِيًّا، لا لِعِيادون؟!
رَجِيعَةٌ أَنَا نرَبِّي جُنْدنا * * * للحـ، لا لتفاهةٍ ومجـون؟!
رَجِيعَةٌ أنَ الرِّسولَ رَعيمَنا * * * لسنا الذيولُ لماركسٍ ولنين؟!
رَجِيعَةٌ أنَ الجهادِ سبيلَنا؟ * * * !نعم، الجهادُ ذريعةُ التَمكينِ
رَجِيعَةٌ أنَ يَحْكُمَ الإسلامُ في * * * شعبٍ يَرى الإسلامَ أعظَمَ دين!
أوليسَ شَرعُ اللهِ -شَرعُ مُحَمَّدٍ * * * -أولَى بنا من شَرعِ نابليون؟!
يأربُّ إنَّ تَكْ هذهِ رَجِيعَةٌ * * * فأحشُرنِ رَجِيعًا بيومِ الدِّين!

=====

قلْ للذي جَعَلَ الكِنانَةَ كُلَّها * * * سَجِنًا وِباتِ الشَّعبِ شرَّ سَجين:
يا أيُّها المَغرورُ في سُلطانِهِ * * * أَمِنَ النُّضارَ خُلِقْتَ أَمِ مِن طين؟!
يا مَن أسأتَ لِكُلِّ مَن قد أَحسنوا * * * لكِ دائنينَ فَكنتِ شرَّ مَدين
يا ذِئبَ عَـ نَصَبوهُ راعيًا * * * والذئبُ لم يَكُ ساعةً بأَمينِ
يا من زرعتَ الشَّرَّ لِنَ تجني سِوى * * * شرِّ وحقدٍ في الصَدرِ دفينِ
سيزولُ حَكمُكُ يا ظَلمُ كما انقضتْ * * * دولُ أولاتِ عساكرٍ وحصونِ
ستهبُ عاصفَةٌ تـدكُّ بناعَهُ * * * دكًا .. ورُكنُ الظَلمِ غيرُ ركينِ
ماذا كسبتَ وقد بذلتَ من القُوى * * * والممالِ بالآلافِ والمليون؟
أرهفتَ أعصابَ البلادِ ومالها * * * ورجالها في الهَدمِ لا التكوينِ
وأدرتَ معركةً تَأججُ نارها * * * مع غيرِ "جون بول" ولا "كوهين"
هل عُدتَ إلا بالهزيمةِ مرَّةً * * * وربحتَ غيرَ خسارةِ المَغبون؟!
وحفرتَ في كَلِّ القلوبِ مَغاوِرًا * * * تهوي بها سَفلاً إلى سَجينِ
وبنيتَ مِن أشلائنا وعَظامننا * * * جسرًا بهِ نرقي لِعَليينِ
وصنعتَ باليدِ نَعشَ عهدِكَ طانِعًا * * * ودققتِ إسفينًا إلى إسفينِ
أظننتَ دعوتنا تموتُ بضربةٍ؟ * * * خابتَ ظنونُك، فَهِيَ شرُّ ظُنون!
بليتَ سِياطُك، والعزائمُ لم تزل * * * مَنّا كَحَدِّ الصَّارمِ المَسنونِ
إنا لَعَمري إنَّ صممتنا برهـةً * * * فالنارُ في البركانِ ذاتُ كُمون!
تاللهِ ما الطغيانُ يَهزمُ دَعـوَةً * * * يومًا، وفي التاريخِ بِـرَّ يميني

=====

ضغُ في يديَّ القيدَ ألهبَ أضلعي * * * بالسوطِ ضغُ عَنقي على السَكينِ
لنَ تستطيعَ حصارَ فكري ساعةً * * * أو نـزَعِ إيماني ونورِ يقيني
فالنورُ في قَلبي، وقَلبي في يَدِي * * * رَبِّي، وربِّي ناصِرِي ومُعيني

سَاعِشْ مُعْتَصِمًا بِحَبْلِ عَقِيدَتِي * * * وَأَمُوتْ مُبْتَسِمًا لِيُخَيَا دِينِي

=====

صَبْرًا أَخِي فِي مِحْنَتِي وَعَقِيدَتِي * * * لَا بَدَّ بَعْدَ الصَّبْرِ مِنْ تَمَكِينِ
وَلَنَا بِيُوسُفَ أَسْوَةٌ فِي صَبْرِهِ * * * وَقَدْ ارْتَمَى فِي السَّجَنِ بِضَعِ سَنِينَ
هــوَنَّ عَلَيْكَ الْأَمْرَ لَا تَعْبَأْ بِهِ * * * إِنَّ الصَّعَابَ تَهَوَّنُ بِالتَّهَوِينِ
أَمْسَ مَضَى، وَالْيَوْمَ يَسْهَلُ بِالرِّضَا * * * وَغَدًا بَبْطُنِ الْغَيْبِ شِبْهُ جَنِينِ
لَا تَيَاسَسَنَّ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ * * * وَتَقَلُّ مَقَالَةَ قَانِطٍ وَحَزِينِ
شَاةٌ أَسْمَتْهَا لَذْنِبٌ غَادِرٌ * * * يَا ضَيْعَةَ الْإِعْدَادِ وَالتَّسْمِينِ
فَعَلَيْكَ بَدْرُ الْحَبِّ لَا قَطْفُ الْجَنَى * * * وَاللَّهُ لِلسَّاعِينَ خَيْرٌ مُعِينِ
سَنَعُودُ لِلدُّنْيَا نُطْبُ جِرَاحَهَا * * * سَنَعُودُ لِلتَّكْبِيرِ وَالتَّادِينِ
سَتَسِيرُ فُلُكُ الْحَقِّ تَحْمَلُ جَنْدَهُ * * * وَسَتَنْتَهِي لِلشَّاطِئِ الْمَأْمُونِ
بِاللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا فَهَلْ * * * تَخْشَى الرَّدَى وَاللَّهُ خَيْرُ ضَمِينِ؟!!

=====

يَا رَبِّ خَلِّصْ مِصْرَ مَنْ أَعْدَائِهَا * * * وَأَعِنِّ عَلَى طَاغُوتِهَا الْمَلْعُونِ
يَا رَبِّ إِنَّ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الرَّبِي * * * وَالْأَمْرُ فِي كَافٍ لَدَيْكَ وَنُونِ
بِاسْمِ الْفَرَاخِ الزُّغْبِ هَيْضَ جَنَاحُهُمْ * * * فَقَدُوا الْأَبَّ الْحَانِي بَغِيرِ مَنْوُنِ
بِدَمُوعِ أُمَّ رُوْعِي وَهَا فِي ابْنِهَا * * * وَبِكَلِّ دَمْعٍ فِي الْعَيْوَنِ سَخِينِ
بِدَعَاءِ شَيْخِ شَرِّدُوا أَبْنَاءَهُ * * * مَا بَيْنَ مُعْتَقَلٍ وَبَيْنَ سَجِينِ
بِسَهَادِ زَوْجٍ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا * * * فَدَعَتْ لِفِرْطِ جَوَى وَفِرْطِ حَنِينِ :
رَبِّاهُ رَدَّ عَلَيَّ مَوْسَى وَخَشْتِي * * * وَأَعْتَبْتُ بِعُودَتِهِ جِيَاعَ بَنِي
يَا مَنْ أَجَبْتَ دَعَاءَ نُوحٍ "فَانْتَصِرْ" * * * "وَحَمَلْتَهُ فِي فُلِكَ الْمَشْحُونِ
يَا مَنْ أَحَالَ النَّوَارَ حَوْلَ خَلِيلِهِ * * * رَوْحًا وَرِيحَانًا بِقَوْلِكَ: كُونِي
يَا مَنْ أَمَرْتَ الْحَوْتَ يَلْفِظُ يُونُسًا * * * وَسَتَرْتَهُ بِشَجِيْرَةِ الْيَقْطِينِ
يَا رَبِّ إِنَّا مِثْلُهُ فِي كُرْبَانَةٍ * * * فَارْحَمْ عِبَادًا كُلَّهُمْ ذُو النَّوُونِ